المسلمون السوفيات

المسلمون السوفياتي مجلد ٦، عدد ٢، يونيو ـ أغسطس ١٩٩٠
[Soviet Muslims 2/90]

ـ المحتوى:

* الافتتاحية: الكرملين ومشكلات آسيا الوسطى ٣

* إضطرابات في كيرغيزيا ٥

* أوروبا الشرقية:
ـ المسلمون البلغاريون والسياسة ٦

* تركستان الشرقية:
ـ الصين و«الأصولية الاسلامية» ٧

* الاتحاد السوفياتي والعالم الاسلامي:
ـ المسلمون السوفيات ورياح الصحوة الاسلامية ٨

* مراجعة لبعض الكتب:
ـ الطوباويات الاجتماعية في أفكار آسيا الوسطى ٩

* مطبوعات:
ـ مؤلفات سوفياتية جديدة عن الدين ١١

مركز الدعوة بماركفيلد لبستر ـ المملكة المتحدة هاتف: ٢٤٤٩٤٤ (٠٥٣٠) فاكس: ٢٤٤٩٤٦ (٠٥٣٠) تلكس: ٣٤١٥٣٩ ISLAMF G

مختصر اوضاع المسلمين السوفيت

انه لمن الضروري ان تلم المعاهد الاسلامية والمؤسسات في العالم الاسلامي بأوضاع المسلمين في الاتحاد السوفيتي وسياسات الاتحاد السوفيتي الخارجية التي تعني بالمسلمين خارج الاتحاد السوفيتي. وبما ان منطقة آسيا الوسطى، ظلت حفيظة على الحضارة الاسلامية عدة قرون، فانها جديرة بأن تحظى باهتمام المسلم. ومجلة **مختصر اوضاع المسلمين السوفيت**، مجلة شهرية تصدرها المؤسسة الاسلامية، وهي محاولة فريدة لدراسة جادة لشؤون المسلمين السوفيت، لم تقدم عليها منظمة اسلامية من قبل.

وهذه المجلة تشكل اضافة هامة للرجل العادي وكذلك الاكاديمي وللعلماء والباحثين والطلاب الذين يعنون بأوضاع المسلمين في الاتحاد السوفيتي والوضع العام للدين في مناطق الحزام الشيوعي.

ومصادر اخبار هذه المجلة الاساسية هي، الدوريات، المجلات، الجرائد والكتب المطبوعة في الاتحاد السوفيتي. وعليه فهذه المجلة تعرض وجهة نظر الاتحاد السوفيتي الرسمية وتعامله مع الاسلام والمسلمين، مأخوذة من المصادر الاساسية.

ويرحب المحرر بالآراء والتعليقات والمقترحات المتعلقة بالمادة والاخراج في سبيل ترقية النوعية والاداء.

الاشتراك السنوي:

٤ جنيهات استرلينية للافراد «بالبريد الجوي»

٨ جنيهات استرلينية للمؤسسات والمكتبات «بالبريد الجوي»

المؤسسة الاسلامية
مركز الدعوة بماركفيلد
ليستر ـ المملكة المتحدة
هاتف: ٢٤٤٩٤٤ (٠٥٣٠)
فاكس: ٢٤٤٩٤٦ (٠٥٣٠)
تلكس: ٣٤١٥٣٩ ISLAMF G

The Islamic Foundation
Markfield Dawah Centre,
Ratby Lane, Markfield, Leicester,
LE6 0RN, UK
Tel: (0530) 244944
Telex: 341539 ISLAMF G
Fax: (0530) 244946

* الافتتاحية:

الكرملين ومشكلات آسيا الوسطى

شهدت منطقة آسيا الوسطى طيلة الثمانية اشهر الاخيرة موجة من العنف لم تشهد لها مثيلاً في كل تاريخها السابق.

لقد ووجهت حكومة السيد غورباتشوف بموجة متصاعدة من المظاهرات القومية، والمشاحنات العرقية وأحداث متكررة من العنف في جمهوريات هذه المنطقة. ولقد اتُهمت الحكومة السوفياتية نفسها في كثير من الأحيان بتصعيد هذه الموجة الخطيرة من الاضطرابات.

بدأت حملة العنف هذه في أذربيجان في يناير ١٩٩٠ وانتقلت بعدها الى طاجكستان. أما الآن فقد انتقل العنف بين الطوائف العرقية المختلفة الى كيرغيزيا، المعروفة بجبالها الجميلة على الحدود الصينية.

لقد تفجرت حوادث العنف بين الأغلبية الكيرغيزية والأقلية الأذربيجانية ـ هناك عداوة قديمة بين الطائفتين ـ عندما تم النزاع حول توزيع بعض الأراضي والمنازل، اضطرت الحكومة السوفياتية خلالها الى استخدام القوة حتى تعيد النظام والاستقرار الى المنطقة، حيث أُعلنت حالة الطوارىء وفُرض حظر التجول في "فرانزي" عاصمة كيرغيزيا.

إن النزاع على الأراضي والمياه نزاع قديم جداً في آسيا الوسطى، ولكن الاعوام الأخيرة عرفت تصعيدات على مستوى آخر: البطالة، أزمة السكن، الكوارث الطبيعية... كل هذه العوامل فتقت جروح العدوات القديمة وأبرزتها جلية للوجود. لقد اتهمت السلطات السوفياتية بعض المخربين والصائدين في الماء العكر من المسلمين بإشعال نار فتنة هذه الحوادث. ولكن ـ كما يبدو ـ فشلت الحكومة السوفياتية فعلياً في تأكيد وإثبات هذه التهمة.

إذ ليس من السهل تقديم أي دليل على وجود العامل الديني في الصراع الدموي القائم حالياً في المنطقة، بالرغم من أن آسيا الوسطى كانت مركزاً كبيراً للحضارة الاسلامية في يوم من الأيام.

إن الاقتتال الذي يجري بين المسلمين الآن لايهدد بأية حال من الأحوال موسكو. إن الصراع بين هؤلاء الأخوة صراع موضعي بين طائفتين عرقيتين مختلفتين على الأرض، وعلى الأرض لا غير.

ومع هذا قد يكون الصراع في مجموعه ـ ولو بعد حين ـ مؤشراً على الغضب الجماهيري في هذه المنطقة، ووسيلة لتجنيد المسلمين من أجل تمرد واسع النطاق ضد الحكومة.

إن السلام في آسيا الوسطى أمر حاسم من أجل استقرار الوضع في الاتحاد السوفياتي. وهو فوق ذلك أمر مهم جداً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار جملة إعلانات الاستقلال في كل من ليثوينيا، لاتفيا، إستونيا، روسيا، أوكرا، جيورجيا، مولدافيا، أوزبكستان، بييلو ـ روسيا.

ومن المحزن أن لا يكون للسلطات السوفياتية والحزب الشيوعي أية خطة سياسية لمعالجة الأزمة المتصاعدة في آسيا الوسطى. وحتى الآن، وبالرغم من علم السلطات السوفياتية أن أي تدخل عسكري سيزيد من مقاومة السكان المحليين، أقول لحد الآن لازال غورباتشوف يفضل استخدام القوة العسكرية لإخماد موجة العنف الحالية بين الطوائف العرقية المختلفة. وفي نفس الوقت يبدو أن الكرملين يريد أن يديم هذا الصراع بين الأشقاء حتى يكسب شيئاً من الوقت.

* السيادة والأمة:

ـ القوميون والصراع من أجل الحرية في الاتحاد السوفياتي

شرعت مجموعات مستقلة في حركتها من أجل استقلال أكبر في الجمهوريات الاسلامية الموجودة في المنطقة الجنوبية من الاتحاد السوفياتي.

فعلى عكس غرار حكومات منطقة البلطيق، لاتوجد لجمهوريات آسيا الوسطى شبكة منسقة تؤهلها لأن تكون لديها سيادة كحكومة مستقلة. وفي حالة أذربيجان يجب أن نقيمها تقييماً مستقلاً لأنها شهدت نوعاً مختلفاً من الانتفاضة الشعبية لم تشهدها الجمهوريات الاخرى.

لقد تدخلت الحكومة السوفياتية بقوة للقضاء على الحركة التي تمت في هذه المنطقة والتي كانت ترمي الى توحيد الأذربيجانيين الموجودين في الاتحاد السوفيتي وإيران في ظل حكومة مستقلة، ولا يمكن أن نشبّه هذا التدخل العنيف من السلطات السوفياتية إلا بتدخل الحكومة الصينية في ساحة مربع تيانامين عندما قتلت طلّابا عزّلا.

وتقول بعض المصادر الغربية أن تدخل الحكومة السوفياتية حدث بسبب محاولة الوطنيين الاعلان عن حكومة تركستانية مستقلة، ولكن هذا الأمر يبقى غير مؤكد ، لأن الجبهات الشعبية التي تضم في صفوفها (البيرليك) لم تؤكد هذا الأمر بعد. وتجدر الاشارة إلى أن (البيرليك) هي أكبر جبهة، حيث يقدَّر عدد أعضائها بمليون شخص. و على كل، ما دامت هذه الجبهات تمقت الحكم الامبراطوري السوفياتي، فمن الممكن أن يتحول الخلاف بين الجانبين الى صراع كلي من أجل الاستقلال، خاصة وأن الاتحاد السوفياتي يعتبر السياسة الخارجية أهم بكثير من سياسته الداخلية. وبالرغم من أن الجبهات الشعبية المنتمية لمختلف الجمهوريات الاسلامية لم تجد منصّة مشتركة لها لحد الآن، إلا أن كل شيء يدعو الى ذلك، فكل أهدافها ومخططاتها متماثلة، إذ الكل يشكو من نفس مشكلات وأزمات الحكم الشيوعي. لقد نتج عن التعامل الغير عادل للجمهوريات ازدياد في النعرات والتحرشات بين أفراد القوميات المختلفة (كومنست تاتارى عدد ٤، ١٩٩٠).

حقاً، إنه من السهل ردّ اللوم على كل هذه الجمهوريات، وما نقموا منها ـ بالرغم من ذلك ـ إلّا أنها نددّت بالفقر والبطالة وبالمشكلات الوطنية والاجتماعية ـ الاقتصادية. ومهما يكن من أمر، فقد نقلت الجبهات الشعبية مطالبها الى الشارع. هذه المطالب التي تعبّر عن رغبة قديمة في إحراز شعوب المنطقة على سيادتها الوطنية واستقلالها الاقتصادي حتى تتمكن من إدارة شؤونها الخاصة دون تدخّل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الحاكم.

كما تطالب الجبهات بحق إصدار قرارتها في مجالات أخرى كثيرة، مثل الدفاع عن حقوق الانسان، الحفاظ على الهوية الوطنية، الحرية الثقافية، إدارة الشؤون الاجتماعية، التوزيع الاقتصادى المتناسب في القطاعات الزراعية والصناعية، وكذلك في مجال حماية الموارد الطبيعية.

وتستمد هذه الجبهات الشعبية شرعيتها من الحالة الراهنة للجمهوريات الاسلامية مباشرة، بعدما لوحظ عدم اهتمام الحكومة السوفياتية باحتياجات المنطقة، سواء أكان ذلك في الماضي أم في الحاضر، خاصة في مجالات التعليم، اللغة، الصحة، توفير السكن، ومتطلبات الحياة الروحية. كل هذه الأمور يعاني المسلمون من عدم توفرها معاناة شديدة.

إن مطالبة هذه الجمهوريات بتراثها الوطني يعني بالدرجة الاولى أن عليها أن تتبع طريقاً شاقّاً ووعراً، إذ ان السلطات السوفياتية لن تتقبل صراعها بسهولة. لقد اتهمت وسائل الاعلام الحكومية هذه الجبهات بتحريكها لموجات العنف التى حدثت في أذربيجان وطاجقستان وكيرغيزيا. وهذا بغض النظر عن وجود أي دافع سياسي أو

عدمه وراء طلب هذه الجبهات لمزيد من الحرية الدينية، وذلك قبيل انعقاد المؤتمر الثامن والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي.

لقد حذرت برافد فوستوكا (٢٨ يونيو ١٩٩٠)، دون أن تشير الى أية جماعة معينة، من الأيديولوجية الدينية التى غُذيت بها الشعوب الاسلامية لآلاف من السنين، أقول لقد حذرت هذه الجريدة من بروز هذه الايديولوجية على الساحة واعتناقها من طرف مجموعة من الناس. لقد رأت هذه الجريدة أن على الكونغرس أن يهتم بهذا الامر، وإلا فستحل هذه الايدولوجية محل الايدولوجية الاشتراكية.

وعلى ما يبدو، وحتى بعد المؤتمر الثامن والعشرين للحزب الشيوعي الحاكم، وبالرغم من بعض التغييرات الطفيفة في الترتيب الهرمي الداخلي، ما زال الحزب الشيوعي يطبق حكماً بلشفياً بصورة جديدة في البلاد. وعليه، فان أي تطور جديد سيواجه ـ لا محالة ـ معارضة شديدة، كما هو الشأن حالياً في الجمهوريات الغير روسية، فالتحرر أصبح شعار الأقليات القومية ولكن محاولاتها لم تثمر الى الآن بأية نتيجة مرغوبة.

وعلى كل، بالرغم من العراقيل التي تواجهها الجبهات الشعبية، سيصبح سيرها المتواصل أمر غير قابل للأخذ والرد، ما دام الكل مصمّم على مواصلة الصراع، اذ أكثر شيء وضوحاً الآن، هو أن هذه الاضطرابات الاخيرة قد زادت زعماء هذه الجبهات قوة وصلابة في مطالبتهم بحقوقهم كلما تقدمت عملية الاصلاح في الاتحاد السوفياتي.

* إضطرابات في كيرغيزيا:

تعرف اغلبية المناطق المسلمة في آسيا الوسطى وقطاع القوقاز منذ سنتين موجة كبيرة من العنف. وكيرغيزيا ـ رابع أكبر جمهورية ذات أغلبية مسلمة في الاتحاد السوفياتي، هي آخر منطقة تكتسحها موجة العنف هذه.

والواقع أن موجة الاضطرابات قد بدأت في كيرغيزيا منذ سنتين ونصف. لقد تمّ إعلان حالة الطوارىء في (فرانزي) عاصمة (كيرغيزيا) ومدينة (أوش) القريبة منها التى تقع على الحدود مع أوزبكستان.

ودفعت السلطات السوفياتية بآلاف من الضباط وحراس الحدود لمراقبة الوضع المتردي هناك بعدما اندلعت موجة العنف الأخيرة في هذه الجمهوريات الجبلية يوم الاثنين الماضي ٤ يونيو ١٩٩٠.

لقد قيل أن الأحداث الدموية التي وقعت في المنطقة قد حدثت نتيجة لنزاع بين الكيرغيز والأوزبكستانيين حول بنايات سكنية في منطقة تؤدي الى كيرغيزيا. ولكن الحكومة السوفياتية تحاول أن تخفي الأسباب الحقيقية لهذه المشكلة. إن الأسباب الرئيسية لهذه القلاقل، إذا أمعنّا النظر، تكمن في الحالة الاجتماعية والاقتصادية السيئة التي تعرفها هذه المنطقة (برافدا).

ونتيجة لهذا التصعيد الخطير فقد حذر محرران من جريدة البرافدا من هذا الوضع السيء، وأكد أنه اذا لم يتم البحث بكل نزاهة عن إجابات مقنعة لكل الأسئلة المتعلقة بهذه المنطقة فإنه من الممكن أن يتفجر الوضع بشكل أخطر. هذا بالرغم من أن بعض الصحفيين في ذلك الوقت تنبؤوا بأن نتائج التحقيقات حول النزاع ستكون مفصلة بطريقة تسمح بمراقبة الزعامة في هذه الجمهورية.

ومن جهة اخرى ، هناك خطر كبير في أن تختفي جملة الحوادث الأخيرة في زحمة الاختلافات الحالية.

وفي ذلك ، أكد كل من يو. رازولياف و أو. لطيفي، أن كل الاعدادات النظرية قد هُيئت لاشعال نار الفتنة حول مسألة النزاع على الحدود، وذلك بكل ما نُشر من وثائق وخرائط.

ففي السابق كانت تُناقش مثل هذه الأمور على مستوى زعامة الجمهورية التي تضم دائرة صغيرة من الموثوق بهم أما الآن، فإن المشكلات حول الحدود تُناقش على الملأ، بالرغم من عدم موافقة الزعماء المحافظين الذين لا حول

لهم ولا قوة أمام السلطات العليا.

ويشير الملاحظون الى أن كثيراً من الأجهزة الحكومية وخاصة التابعة منها لجمهورية كيرغيزيا، قد بدّلت نوعاً ما من الدستور، حتى يتم تقديم بعض الخدمات السياسية للمؤيدين المحليين أو السياسيين الموجودين في المناطق المجاورة. ولقد شهدت الساحة السياسية في هذه الجمهورية اتجاهين: فمن ناحية هناك الأكاديميون، والشخصيات الأدبية وآخرون ممن لهم باع في مجال الثقافة والاقتصاد وما شابه من الحقول التخصصية، بينما من جهة اخرى، يبدو المحافظون (الحرس القديم) مترددين في تصالحهم مع التغيرات المحلية والاقليمية حيث يعتقد الكثير من هؤلاء المحافظين أنه من الخطأ إعطاء الكثير من الحرية الى أناس لا يعرفون كيفية استعمالها، بينما ينصح آخرون بالامتناع عن تطبيق مبدأ الديمقراطية في الجمهوريات التي ليس لها رصيد كبير في هذا المجال. ولعل خير دليل على فوز هذا التيار المتشدد هو فوزهم في الانتخابات المحلية والانتخابات التي عقدت على مستوى الجمهورية في كيرغيزيا. فمن بين ٣٥٠ عضواً الذين يكونون البرلمان في كيرغيزيا تم اختيار ٩٥ (ربع العدد الكلي) من بين الشيوعيين الموجودين في المنطقة والمقاطعة ولجان المدينة. وهذا أن دلّ على شيء فإنما يدل على أن المنافسين الآخرين كانوا ضعفاء من كل ناحية (كما نقلت إحدى المجلات الاسبوعية).

إن الموجة الأخيرة من الاعتقالات لها علاقة وطيدة بالمؤتمر الغير عادى الذى عقده الشيوعيون في كيرغيزيا والذى كان من المفترض أن يشكل لجنة مركزية للجمهورية نفسها.

لقد شعر الناس بعدم الارتياح لكون أقوى جهاز في جمهوريتهم يتكون أو لا يزال من نفس الأشخاص الذين لعبوا دوراً كبيراً في سوء إدارة هذه الجمهورية، بل كانوا السبب الأول في حدوث الأزمة الحالية. لقد لاحظ أحد الصحفيين في جريدة نوفوستي (موسكو) أن سلسلة الاعتقالات الأخيرة في كيرغيزيا ستنتقل الى جمهوريات أخرى في آسيا الوسطى، وهذا من الممكن أن يؤدي الى تطورات خطيرة في المنطقة ككل.

* أوروبا الشرقية:

ـ المسلمون البلغاريون والسياسة

عادت بلغاريا من جديد لتحتل الصفحات الأولى من الجرائد، وهذا بسبب الاضرابات التي حدثت في (كردزهالي) وهي مدينة في جنوب شرق بلغاريا.

لقد أعلن بعض القوميين إضراباً عاماً، سدوا بعده بعض الطرقات واحتلوا بعض المصانع والبنايات الحكومية الى جانب محطة الاذاعة. والسبب في كل ذلك يعود الى أن زعيماً من الأقلية التركية دخل البرلمان البلغاري كعضو باسمه التركي الأصلي وليس باسمه السلافي الذى فرضه عليه حكم (زهيفكوف).

وكانت هذه المظاهرة تعبيراً عن سخط وتنديد القوميين البلغاريين بما فعله هذا الزعيم التركي. لقد أُصيبوا بنوبة غضب شديدة من وجود الأقلية التركية في البلاد. وعلى كل يبدو وكأن قدوم عهد الديمقراطية وانتهاء الحكم الشمولي لا يعتبر نبأ سعيد بالنسبة للقوميين البلغاريين، خاصة بالنسبة لؤلئك الذين يعيشون كأقلية في مناطق ذات أغلبية تركية.

ففي السابق، والى أن أُزيح (زهيفكوف) عن الحكم، أُصيب المسلمون البالغ عددهم نحو مليون ونصف باضطهاد شديد مع أنهم يشكلون ١٦ في المائة من مجموع السكان الكلي. فعلى سبيل المثال، فقد أُغلقت المساجد واضطر المسلمون الى تغيير اسمائهم الاسلامية ولكن الحكومة الجديدة قد غيّرت من كل ذلك وبادرت الى إعطاء

الأقلية التركية فرصتها الاولى وذلك عندما سمحت لها بإقامة انتخابات حرة تتمكن من خلالها اختيار ممثليها الذين ترضى عنهم.

يبلغ عدد سكان (كردزهالي) حوالي ٣٠٠,٠٠٠ (ثلاثمائة الف) ثمانون في المائة منهم مسلمون. وفي الشهر الماضي أُقيمت أول انتخابات برلمانية حرة تجري في بلغاريا لما يزيد عن ٤٠ سنة. وكان أن فاز الحزب التركي (الحركة من أجل الحقوق والحرية) بعشر مقاعد في منطقة (كردزهالي). كما أن للحزب ٢٣ عضواً في البرلمان البلغاري الذي يضم ٤٠٠ عضواً.

إن القوميين في (كردزهالي) متأكدون من أن الأتراك سيكررون فوزهم في الانتخابات العمومية التي من المقرر ان تقام في الخريف القادم. وهذا، إن حدث، سيؤدي الى تغيير رؤساء المقاطعات والمحافظات الذين كانو يعيّنون تعييناً في عهد (زهيفكوف). وكما يقول (مؤمن أمين) رئيس الحركة من أجل الحقوق والحرية، فإن البلغاريين يودّون المحافظة على امتيازاتهم التي كانوا يتمتعون بها من قبل. هذا، وقد أنهى المتظاهرون اضرابهم بعد ما وافق البرلمان على بحث تأثير الأقليات السياسي في بلغاريا.

* تركستان الشرقية:

ـ الصين و «الأصولية الاسلامية»

لقد أدت الاصلاحات الاخيرة التي جاء بها السيد غورباتشوف الى بناء مساجد ومدارس جديدة، وتم تجديد وإعادة بناء القديم منها في آسيا الوسطى. ومن جهة أخرى أُعطيت شعوب اوروبا الشرقية الحق في ممارسة الشعائر الدينية (وكانت ألبانيا هي البلد الأخير الذى فعل ذلك). هذا كله أصبح واقعاً ملموساً في تلك البلدان وعلامات الاستفهام والتعجب موجهة الآن نحو الصين ثاني أكبر دولة شيوعية في العالم. ماذا يجرى للتجمع المسلم هناك والذى يقدر بحوالي ٨٥ مليون على الأقل؟.

إن التقارير الصادرة من أرض (ماو) تبدو مشجعة للغاية، إذ يعتقد الدبلوماسيون الغربيون في بكين (عاصمة الصين)، أن تأثير الاسلام والأديان الاخرى على المجتمع الصيني في تزايد مستمر وقد يشكل ذلك تحدياً كبيراً للحكومة على المدى البعيد. ولكنه يجب الاعتراف في الوقت ذاته، أن هذه الملاحظات مبنية على تخمينات وتقديرات شخصية، لأنه لا يوجد بالصين، كما هو معروف، أية مؤسسة اجتماعية يمكن أن تقدم احصائيات دقيقة وموثوق بها.

على أن المعلومات المجمّعة من ملاحظين محايدين تبين أن هناك بناءً كثيفاً للمساجد، وإقبالاً أكبر من الناس على الصلاة ومدارسة القرآن، كما أن الكثير من الناس يذهبون لتأدية الحج.

إن المناطق ذات الأغلبية الاسلامية، ومنطقة نينسغزيا على الخصوص، قد حرّمت تجارة الخمور ولحم الخنزير، كما أن هناك محافظة شديدة على شعيرة الصيام في شهر رمضان. وبالرغم من أن الشباب في المدن الكبيرة لا يبالون بالصلاة الا أنه يندر أن تجد منهم من يتزوج من غير المسلمات.

إن إحدى علامات صحوة المسلمين في الصين هي المظاهرة التي جرت في السنة الماضية تنديداً بكتاب (التقاليد «العادات» الجنسية) الذي كان يحاول القذف بالاسلام. وكان رد الحكومة على هذه المظاهرة مشجعاً جداً حيث مُنع الكتاب من التداول وعُوقب المؤلف والناشر سواء بسواء. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على استجابة الحكومة لمطالب المسلمين. كما يشير البعض الى بعض الامثلة الاخرى التي تدل على التعامل الخاص الذي تبديه الحكومة لرعايا هذه الأقلية، مثل سماحها لهم بالتزوج سنتين قبل السن القانوني المفروض على أفراد من يُسمُّون

بـ«الهان». مع العلم أن «الهان» يشكلون حوالي ٩٣ في المائة من مجموع سكان الصين. كما أن افراد أقلية (هـوى) وهم مسلمون، مسموح لهم بإنجاب طفلين أو ثلاثة (طفل زيادة على باقي أفراد الهان). وهكذا يبدو المسلمـون وكـأنهم سعيـدين بسياسة حكومة بكين، فكما يقول «زاي شانزهغ» رئيس الجمعية الاسلامية في «نينغزيا» وإمام المسجد المركزي بينسوان:

"ليس لدينا أية حاجة الى دولة اسلامية أو حكومة إسلامية. إن الحكومة تقدم كثيرا من الامتيازات للمسلمين، في مجالات التعليم، الزراعة، الصناعة". وأضاف قائلاً: "هناك، في الوقت الحالي، حوالي ثلاثة آلاف إمام في منقطة نينغزيا وحدها، وهناك حوالي ٥٠٠٠ شاب قدموا طلباتهم ليصبحوا أئمة".

ولكن يجب الاعتراف أن الوضع يختلف من منطقة مسلمة الى أخرى. فلقد عرفت منطقة (رينجيانغ) في ابريل الماضي انتفاضة عنيفة نُظمت من طرف المسلمين، ندّدت الصحف يومئذ بهذه الحوادث واتخذت الحكومة اجراءات صارمـة حت تحول دون تصعيد الاضطرابات و يبين هذا ان الحكومة الصينية مصممة على الوقوف في وجه الصحوة الاسلامية المتنامية بقوة في هذه الأيام في الصين. ومعروف كذلك أن الحكومة تراقب تحركات ونشاطات الزعماء المسلمين مراقبة شديدة.

* الاتحاد السوفياتي والعالم الاسلامي:

ـ المسلمون السوفيات ورياح الصحوة الاسلامية

يُبدي الاتحاد السوفياتي قلقاً شديداً من الصحوة الاسلامية في الحدود الجنوبية، خاصة بعد ظهور الصحوة الاسلامية الشاملة التي يعرفها العالم الاسلامي والثورة الايرانية الى جانب المعارضة الاسلامية المسلّحة ضد النظام الشيوعي الافغاني.

لقد أكد الباحثون في الغرب انّ غزو أفغانستان كان خطوة مدروسة لوقف مد الأفكار الاسلامية الثورية حيث كانت تسـارع وسـائـل الاعلام السوفياتية الى نشر مقالات وتقارير عن انتقال الأفكار الأصولية الى المناطق السوفياتية المسلمة، في محاولة منها لتجنيد الراي العام السوفياتي.

ومن جهة اخرى، يؤكد الخبراء السوفيات لمنطقة الشرق الأوسط، على أن الدور السياسي للاسلام بلغ مدى كبيرا في الاتحاد السوفيتي الى حد يفرض على الحكومة السوفياتية اتخاذ مواقف جادة لتفادي المشكلات الناتجة عن هذه الظاهرة.

أثناء القلاقل الاخيرة في أذربيجان وطاجقستان حدثت ظواهر جديدة لم تكن مألوفة في المظاهرات والاضطرابات في هذه المناطق: لقد شوهدت جماعة تحمل راية خضراء (الراية الخضراء شعار اسلامي) بجانب رايات أخرى لبلدان اسلامية مجاورة. إن هذه الاضطرابات التي حدثت لها أبعاد قومية وطنية بحتة، ولكن خبراء الشئون الاسلامية السوفيات لم يفلحوا في إخفاء توترهم بعدما تأكدوا من الدور السياسي الذى يمكن أن يلعبه الاسلام.

فقـد بين البـروفيسـور (بلياييف) وهو خبير في هذا المجال، في مقال نشره بجريدة شيوعية جديدة عنوانها (الحوار) «عدد ٦، ١٩٩٠»، أن كل الأحداث التي تجري حالياً في المناطق المسلمة من الاتحاد السوفياتي تلقى تأييداً سياسياً واقتصادياً من العالم الاسلامي وخاصة السعودية وإيران وبعض البلدان المنتجة للبترول.

ومـع احتمـال انفتـاح الاتحاد السوفياتي على العالم الخارجي، بادرت بعض التجمعات الاسلامية داخل الاتحـاد السـوفيـاتي الى عقد اتصالات مع بعض المنظمات الاسلامية خارج الاتحاد السوفياتي طالبة منها

تزويدها بكل احتياجاتها الدينية. ولعل الحكومة السوفياتية لم تتجاهل أمر تزويد رابطة العالم الاسلامي التي مقرها مكة، المسلمين السوفيات بكميات كبيرة من مصاحف القرآن الكريم وبعض كتب الآداب الاسلامية مترجمة الى عدة لغات.

ومن المؤسف ان نلاحظ أن البروفسور (بلياييف) يحاول ان يجعل من هذه القضية موضوعاً سياسياً حيث انه صرّح أن هذه الأدبيات الاسلامية تتحرش بالأمن القومي للاتحاد السوفياتي وتدعو المسلمين السوفيات الى الثورة ضد الحكومة. ولعلّ سر موقف الأستاذ (بلياييف) يكمن في زحف القوى الاسلامية في مناطق اخرى من العالم ومحاربتها بقوة للعلمانية والشيوعية والصهيونية والتحلل الغربي.

ومن المدهش أن نجد أن أحد الخبراء الأمريكيين، لم يذكر اسمه، على وفاق تام مع ما ذهب اليه بلياييف حيث صرح أن الصحوة الاسلامية في العالم المعاصر قد برزت الى الوجود كقنبلة ذرية، وهذا الأمر يجد له نفس الاهتمام والعناية من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي على حد سواء.

إن البروفسور بلياييف يؤكد أن الاولوية الأولى للصحوة الاسلامية هو اقامة دولة إسلامية وهذا في حد ذاته معضلة بالنسبة للقوى الكبرى لأن ايران قد أثبتت ذلك.

وكما نلاحظ فإن الصحوة الاسلامية لم تتوقف على العالم الاسلامي، بل تعدته الى بلدان اخرى كما هو الحال في لبنان وأزمته الحادة، والأراضي المحتلة في فلسطين، ومناطق كثيرة من العالم.

ويسمي البروفسور بلياييف الصحوة الاسلامية (الارهاب السياسي الاسلامي) ولكنه يعتقد، رغم كل هذا، أن على الصحـوة الاسـلامية أن تستمر، مع كل الاحترام الذي تستحقه، في إطارها المناسب: إقامة الشعائر التعبدية، فالسياسة والدين مجالان لا يمكن أن يلتقيا.

لقد تساءل بلياييف فيما إذا كان القرآن يعلّم اتباعه الحقد وعدم التسامح، واذا كان القرآن لا يعلّم ذلك، فلم تنصب كل أعين الشك والريبة على آراء سيد القطب وبخاصة الثورية منها؟

إن المؤسسات قد أُنشئت منذ صدر الاسلام الأول لدراسة الوضعية التي تعيشها الأمة الاسلامية وبالتالي تطبيق الاسلام وفقاً لظروف هذه الوضعية فالمساجد، مثلاً، كانت دائماً مركزاً للعلم والتعلم لكافة مجالات الحياة.

إن بلياييف لا يُخفي أبداً رغبته في عودة الملالي الى مساجدهم وعدم مغادرة حدودها لأن الشؤون الاخرى، خارج حدود المسجد، في رأيه لا تهمهم. وعلى كل لقد تسببت عملية الغلاسنوست نفسها في تكثيف أنشطة هؤلاء الملالي.

وفي مجمل المقال، حاول بلياييف أن يحرّض السلطات السوفياتية حتى توقف من تأثير «الأصولية الاسلامية» داخـل حدود الاتحاد السوفياتي، فبعد أذربيجان من المحتمل أن تهب رياح الصحوة الاسلامية على الحدود الجنوبية مع أفغانستان، وهذا الأمر بإمكانه أن ينشب صراعاً مسلحاً في (باسمشي).

* مراجعة لبعض الكتب:

ـ الطوبابوية الاجتماعية في افكار آسيا الوسطى:

«الطوبابوية الاجتماعية كاتجاه في الأفكار الفلسفية ـ الاجتماعية في آسيا الوسطى» تأليف م. ك. أريبوف، طشقند، فان، أوز، س س ر، ١٩٨٩ صفحة ١١٢.

لقد حفزت الأفكار الاشتراكية كعوامل مؤثرة دافعة في الحركات الاجتماعية المعاصرة، بعض المحرومين للصراع

من أجل تمدد اقتصادي وسياسي في صالحهم. ومهما يكن من أمر، فقد ساعدوا على إبراز بعض الاهتمام في المجتمع العلمي، لدراسة تاريخ الأفكار الاشتراكية قبل ماركس. إننا نعرف أن الطوبويات الاجتماعية هي أهم مكونات الماركسية . إن عملية إعادة البناء بكل ما يرافقها من إصلاحات ثورية في نظام اشتراكي، تدعو الى مراجعة التجربة الاشتراكية الحقيقية في سباق التطور الخلّاق الذى أتت به الماركسية ـ اللينينية، كما انها تدعو الى إجتثاث كل الأعراض المرضية التي بدت على النظام الاشتراكي.

إن هذه الأمراض تشوّه حتماً من المبادىء الانسانية للاشتراكية، وإعادة البناء ـ التي هم بصدد الحديث عنها ـ تواجه مهمة كبيرة وشاقة، حيث يجب أن تطهر الاشتراكية من كل الأورام والتشوّهات التي علقت بها من الثلاثينات الى السبعينات، حتى يتمكن النظام من التحول الى «إنسانية حقيقية وأصيلة» حيث يستطيع الانسان أن يكون هو المقياس لكل شيء في نظام إقتصادي متحرك فعّال، حيث تسود العدالة الاجتماعية والاخلاقيات المرتفعة وديمقراطية حقيقية تحقق المساواة للجميع.

وقد أشار غورباتشوف عندما تكلم عن الخصائص الكمية الدائمة التي يجب أن يعرفها النظام الاشتراكي الجديد في المستقبل، الى ضرورة تذكّر «الوجه الديمقراطي والانساني للاشتراكية» دائماً. هذا، وإذا نظرنا الى الخلفية الثورية للمجتمعات الاشتراكية، فإننا نجد أنه لابد من إلقاء نظرة جديدة على تاريخ البشرية في بحثها عن مبتغاها الروحي عبر القرون والذى أدى في نهاية الأمر الى ظهور الماركسية.

فمن المهم جداً أن نكون على دراية بتاريخ الطوباويات الاجتماعية كما عرفتها الأفكار المتداولة في مجتمعات آسيا الوسطى، كما يجب أن نعرف آراء الفلاسفة الغربيين عن المجتمع المثالي وكيفية إبرازها للوجود.. الخ.

إن هذه الامور ستسمح للعلماء الاجتماعيين بمراجعة أهم الخصائص والمشكلات والعناصر التي تعرفها الاشتراكية في هذه المرحلة الحديثة من تطورها، مثل تنشيط العامل الانساني، تحسين القيم الأخلاقية في المجتمع.. الخ. والشيء الذى يؤسف له حقاً هو انه لا يوجد اي تعريف دقيق لعبارات مثل: طوبايوية، «المجتمع الطوباوى» وهذا بحد ذاته يجعل اية محاولة لتقديم نظرية ذات معنى عن الطوباوية الاشتراكية، صعباً للغاية.

إن الخصائص التي من شأنها أن تبين الفرق بين هذه الأفكار لاتبدو واضحة بما فيه الكفاية. وإعطاء تعريفات دقيقة وواضحة سيُعين، دون ادنى شك، علي تقديم صورة واضحة عن الأفكار الاجتماعية التي ظهرت قبل الماركسية. كما ستمكننا من إعطاء تقييم نقدي للتصورات الماركسية (بما فيها الاسلامية) عن الاشتراكية.

إن هذا الكتاب يعرض الأفكار الطوباوية، ويتابع مكانتها ودورها في تكوين بعض الأيدولوجيات التي ظهرت في القرون الوسطى. وقد بذل المؤلف جهدا كبيرا في تحليل مفاهيم مثل طوباوية، الطوباوية الاشتراكية، وناقش ـ الى جانب ذلك ـ بعض الأفكار الواردة في أعمال «الفارابي» و «أليشرنافوى»، مع تركيز خاص على أفكارهما الاجتماعية، خاصة التي تعالج مفهوم الانسان وموقفهما من الدين والعدالة الاجتماعية.

والكتاب، بعد ذلك، يخاطب دائرة كبيرة من القراء والباحثين ومعلمي وطلبة العلوم الانسانية في الجامعات.

* مطبوعات:

ـ مؤلفات سوفياتية جديدة عن الدين

١ـ خودبخوى، ب:
«حول العلم الاسلامي الجديد».
مير نوكي، مجلد ٣٣، عدد ٣، موسكو ١٩٨٩، ص ص : ٩١ـ٢٢.

٢ـ بولاتوف، أو:
«نوفو غورد وبخارى: رمزان للايمان»
رودينا، عدد ٨، موسكو ٩١٨٩، صفحة ٤٤.

٣ـ زياتوف، أو:
«تدويل التقاليد الاسلامية الروحية وتقوية الشعائر الاشتراكية الجديدة»
مقتطف من رسالة دكتوراة، جامعة طشقند، ١٩٨٩، صفحة ١٦.

٤ـ كرافشوك، ل:
«وجه جديد للتربية الالحادية»
كومنست بلورسوي، عدد ٩، مينسك ١٩٨٩، ص ص : ٢٨ـ٤٥.

٥ـ لوسيوفيش، ف. إي:
«بنية وماهية ووظيفة السيكولوجية الدينية»
مقتطف من اطروحة دكتوراه، م.ج.يو.إ.م. لوموناسوف، م.ف.فيلوس. فاك، موسكو ١٩٨٩، صفحة ٩٦.

٦ـ كوفال، أ.ب:
«وسائل جديدة في التعامل مع المؤمنين»
فيويوششي.ف. أوسلو فياخ. بيروستروبلكي. موسكو ١٩٨٩، ص ص ١١٢ـ١٢٦

If undelivered please return to:
The Islamic Foundation,
Markfield Dawah Centre,
Ratby Lane, Markfield, Leicester, LE6 0RN, UK